الحمد لله.. والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله.. وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه

وبعـد:

فلقد تحدث القرآن الكريم عن رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ حديثا مستفيضا .. تناول فيه إنسانياته التى لم يسامه فيها إنسان ما.. وأخلاقياته التى لم يدانه فيها بشر ما.. وسلوكياته التى علا فيها عمن سواه.. وصفاته التى لم يضارعه فيها واحد من الناس أجمعين.. ولمس جوانب متعددة من عظمته ـ صلى الله عليه وسلم ـ التى لم يع التاريخ فى أى فصل من فصوله أروع ولا أجل منها.. وبين الغاية التى من أجلها بعث.. والمهام التى كُلف بها.. وعِظم الأمانة التى حُمِّلها..!

وحديث القرآن الكريم عن إمام الأنبياء وخاتم المرسلين، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف.. القرشى.. الذى ينتهى نسبه إلى معد بن عدنان بن

إسماعيل ابن خليل الرحمن إبراهيم ـ صلوات الله وسلامه عليهم آجمعين ـ حديث خبير مُصدَّق.. لماذا..؟ لأن القرآن هو كلام الله.. علام الغيوب عز وجل.. وهو سبحانه يعلم خبايا النفوس.. وخفايا الصدور.. سبحانه:

﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾(١)

ولقد عايشت القرآن الكريم ـ بحمد الله وفضله ومنته ـ مايربو على الأربعين عاما.. حفظا.. ودراسة.. وتدريسا.. وغوصا فى خضم بحاره.. فبهرنى بعذب حديثه.. وسلاسة تعبيره.. ودقة تأليفه.. وجمال تركيبه.. وجذبنى مافيه من نصاعة حجة.. وسلامة منطق.. وقوة إقناع.. وجزالة بيان.. !!

ومما شد انتباهى.. ولفت نظرى أكثر وأكثر من بين أحاديثه المتعددة الجوانب.. المترامية الأطراف حديثه عن النبى الخاتم.. صاحب الرسالة الخاتمة.. رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ سواء فى الكشف عن مكانته السامية عند رب العزة ـ تبارك وتعالى ـ ودرجته التى لا تُسامى فى الملأ الأعلى.. أو عن بشريته التى تسمو بشرية البشر أجمعين بمراحل لا نهاية لها.. تلك البشرية المؤيدة بوحى السماء..

(١) سورة سبأ :٣

والمحاطة بعصمة الأنبياء.. والممدودة بالمدد الإلهى.. والرائية بالنور الربانى..!!

أو فى عرض منهج دعوته، وإبراز جوانبه الرحيمة الحكيمة التى تتلاءم وفطرة الله التى فطر الناس عليها..

أو فى عرض أساليب أعداء هذه الفطرة وهم يناصبونه ـ صلى الله عليه وسلم ـ العداء.. ويحاربونه بكل سلاح.. ويحاولون أن يطفئوا نور الهداية بأفواههم الآثمة.. ويوقفوا تيار الدعوة إلى الله عز وجل.. ثم.. وآياته البينات تنزل على قلبه المكلوم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لتمسح عبراته.. وتشد من أزره.. وتقوى من عزيمته.. وتضرب له المثل تلو المثل بأولى العزم من الرسل وغيرهم وبما تحملوه وأتباعهم من المؤمنين من أذى واضطهاد..!

أو فى عرض قضية التوحيد عرضا يقوم على قوة الإقناع.. ونصاعة الحق.. وسلامة المنطق..!

***

ولقد عايشت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما يربو على ثلث قرن.. دراسة.. وتدريسا.. وكم عجبت لهذه الشخصية الفذة التى عجزت الدنيا منذ أن كانت وإلى يوم الناس هذا، بل وإلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها.. أن تنجب مثلها..!!

لقد بدا لى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد دراسة شخصيته أنه قرآن حى.. يسير بين الناس.. يحسونه ويلمسونه.. لقد انتظم ـ صلى الله عليه وسلم ـ بسلوكه وأخلاقياته.. مع القرآن الكريم بمبادئه وتعاليمه وآدابه فى عقد واحد.. حباته أثمن اللآلئ وأغلى الجواهر..!!

لقد بدا لى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بوضوح أنه والقرآن الكريم صفحتان لكتاب واحد.. إحداهما متلوة مقروءة.. والثانية مرئية محسوسة..!!

***

وكنت مع شهر مولده الشريف ـ ربيع الأول ـ من كل عام أعايشه ـ صلى الله عليه وسلم ـ معايشة كاملة.. وتكون شخصيته العظيمة طوال هذا الشهر هى مدار دروسى، ومحاضراتى وخطبى.. وكم كنت أذوب حبا فى هذا النبى الكريم ـ صلوات ربى وسلامه عليه ـ وأنفعل بشخصيته الفريدة أيما انفعال.. وأتمنى فى قرارة نفسى أن أعبر عن هذا الإعجاب.. وذاك الحب.. بقلمى المتواضع.. لكن كنت أرانى دائما دون هذا المقام السامى بكثير...!!

وفى ربيع الأول من عام ١٤٠٩ من الهجرة النبوية الشريفة.. وجدت هذه الفكرة قد استولت على فكرى

تماما.. ووجدتنى أمسك بقلمى المتواضع وأخط هذه السطور مستأذنا سيدى وحبيبى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى جرأتى على الاقتراب من ساحة حياته الشريفة، وسيرته العطرة.. لأعايش شخصيته العظيمة الفذة كتابة، كما عايشتها دراسة وتدريسا..!!

وآمل أن أوفق فى عرض بعض جوانب عظمة هذه الشخصية الحبيبة إلى كل نفس، الأثيرة عند كل قلب.. على ضوء آيات من الكتاب العزيز: القرآن الكريم.. فإن وفقت فهو فضل من الله ـ عز وجل ـ منحنى إياه، وتفضل علىَّ به.. وإن كانت الأخرى فأسأله ـ سبحانه ـ العفو والصفح عن كل زلة.. وإقالة عثرتى.. والتجاوز عن خطئى.. وأسأل إخوانى القراء أن يتفضلوا ويهدوا إلىَّ عيوبى فى هذا المؤلف وسواه.

كما أرجو أن يكون هذا المؤلف البسيط المتواضع عقدا فريدا.. حباته الثمينة آيات من الذكر الحكيم فى حديثها عن سيد الخلق أجمعين.. ولآلئه النفيسة جوانب من حياته المشرقة الوضَّاءة.. ويتكون من هذا وذاك عمل آمل أن يكون نبراسا يضئ دروب حياتنا فنسلكها على هدى وبصيرة..!!

***

وطريقتى فى هذا البحث المتواضع ـ بمشيئة الله سبحانه ـ ستكون كما يلى:

١ ـ ترتيب مواضيعه وأبوابه حسب مراحل حياة سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الشريفة.. وما سبق ولادته من إرهاصات، والمبشرات التى بشرت به ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل أن يولد وذكرها القرآن الكريم.. ثم نتابع حياته الشريفة من ولادته إلى بعثته.. فمراحل الدعوة وماحدث فيها من أذى واضطهاد.. وتسلية القرآن الكريم له.. وتسريته عنه.. وشده لأزره.. وتقويته لعزيمته.. ثم دفاعه عنه صلى الله عليه وسلم.

٢ ـ آيات القرآن الكريم هى التى ستحدد الأبواب والمواضيع، وسوف توضع الآية ـ إن شاء الله تعالى ـ أو الآيات أعلى الصفحة، ومنها نأخذ عنوانا للموضوع الذى نريد أن نتناوله.. ولأن مراحل حياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما سبق ولادته.. هى التى ستفرض علينا الترتيب المطلوب.. فلن نتقيد بالترتيب الذى جاء فى المصحف الشريف عند ذكر الآيات التى تمثل رأس الموضوع.. فربما قدمنا آية أو آيات مدنية قبل غيرها من المكية.. وربما جاءت آيات من الجزء الثلاثين ـ مثلا ـ قبل آيات من الجزء الأول.

***

والذى أريد أن أؤكد عليه هو: أن هذا الكتاب المتواضع ليس كتاب تفسير بالمعنى المتعارف عليه عند علماء التفسير.. وليس هو كتاب سيرة أو تاريخ بالمعنى العلمى لهذا المفهوم.. إنما هو مجرد خواطر حول آيات من القرآن الكريم تتناول فى حديثها وثناياها الكلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لهذا.. أرجو ألا ينظر إليه على أنه كتاب تفسير.. ولا على أنه كتاب تاريخ؛ حتى لا أرمى بالتقصير هنا أو هناك.. وإنما ينظر إليه على أنه خواطر أملاها الحب الصادق للقرآن الكريم، ولمن نزل عليه القرآن الكريم ـ صلوات ربى وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ـ والمعايشة اليومية التى فرضتها طبيعة عملى كداعية إسلامى.. يخطب ويحاضر لأكثر من ربع قرن.. والمنهل الذى يرده يوميا وينهل منه هو كتاب الله ـ عز وجل ـ وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحياة هذا النبى الكريم التى تعد بحق النموذج الحى للإنسان الكامل..!

***

وإن كان ثمة من يستحق الإهداء.. فهو مقام سيدى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الأسنى والأسمى.. ثم المرحوم والدى ـ رحمه الله وغفر له وأسكنه فسيح جناته ـ

فهو ـ رحمه الله ـ بلا ريب الذى غرس فىَّ حب القرآن . . وحب من نزل عليه القرآن . . وحبب إلى نفسى وقلبى العمل فى حقل الدعوة إلى الله ـ عز وجل ـ وإلى دينه السمح الحنيف . . وسنة نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ الغراء . . !!

وكان ـ رحمه الله ـ بسلوكه . . وأخلاقه . . وتعبده . . وحبه لله ولرسوله . . حافزا لى على أن أشق هذا الطريق . . وأسلك هذا السبيل . . !!

أدعو الله ـ سبحانه ـ أن يوفقنى، ويسدد خطاى . . ويلهمنى الصواب . . ويجنبنى الزلل والخطأ، ويتقبل هذا العمل المتواضع منى . . ويجعله فى كفة حسناتى ووالدىّ . . وقارئى العزيز يوم القيامة . . آمين .

٢٨ من ربيع الأول ١٤٠٩ هـ
الاثنين المبارك:
٧ من نوفمبر ١٩٨٩ م

صلالة ـ ظفار . سلطنة عمان

محمد عبد الفتاح عفيفى